

أنوار نجوم تأثر مدرسة الديوان بسماء الآداب الأجنبيةة

* حسين شمس آبادى

** مسعود مرگان پور

*** اصغر مولوى نافچى

الملخص

مدرسة الديوان هي إحدى المدارس الأدبية التي ظهرت في تاريخ الأدب العربي الحديث، ولها دور رئيسي في توجيه الأدب العربي نحو حركة التجديد ومسايرة التطورات الأدبية، التي شهدت العالم خلال القرن العشرين. أما هذا التجديد الذي دعت إليه هذه المدرسة لها جذور غير عربية في أكثر حالاتها، الجذور التي تتجلى في الآداب الأجنبيةة الأخرى، مثل الآداب الإنجليزية والفرنسية والفارسية. في هذه الدراسة نريد أن نسلط الضوء على كيفية تأثر هذه المدرسة من هذه الآداب الأجنبيةة عن طريق الأدب الانجليزي.

الكلمات الدليلية: مدرسة الديوان، التأثر، الآداب الأجنبيةة، الأدب الإنجليزي، الأدب الفرنسي، الأدب الفارسي.

* عضو هيئة التدريس بجامعة الحكيم السيزواري (أستاذ مشارك)

marganpour.masoud@gmail.com

** طالب مرحلة الدكتوراه، جامعة الحكيم السيزواري

*** عضو هيئة التدريس في فرع اللغة الانجليزية وآدابها بجامعة الحكيم السيزواري.

الكاتب المسؤول: حسين شمس آبادى

تاريخ القبول: ٩١/٩/١٣

تاريخ الوصول: ٩١/٥/١٥

المقدمة

فضلنا الجمع بين المقدمه وخليفة البحث فى قسم واحد، وذلك بسبب ترابط اهداف وأسئلة البحث الحاضر الذى ينبع من طبيعة تداخل الموضوعات فى مجال الأدب المقارن. تأسست مدرسة الديوان فى ١٩٢١م وروادها الثلاثة هم عباس محمود العقاد (١٩٦٤-١٨٨٩) وعبد الرحمن شكرى (١٩٥٨-١٨٨٦) و/براهيم عبد القادر المازنى (١٩٤٩-١٨٨٠)، وقد أسهموا فى تطوير وتحديث الحركة الأدبية والشعرية من خلال الإطلاع الواسع على التراث العربى والآداب الغربية والشعر الانجليزى والثورة على الشعر الكلاسيكى عند القدماء والمحدثين بزعامة أحمد شوقى.

وتجسد هذا الإتجاه فى ديوان شكرى «ضوء الفجر» وقد اصطبغ شعره برومانسية حزينة، عبرت بصدق عن آلام المجتمع المصرى أثناء الاحتلال، وضمن هذا المنهج النقدى اتجه العقاد والمازنى فى دعوتهما إلى التجديد، فنقد المازنى المدرسة الاتباعية وسخر من شعرائها، وخصص بالنقد حافظ إبراهيم وأحمد شوقى عندما أصدر كتاباً سنة ١٩١٥ فيه مقارنة بين شعر حافظ وشعر شكرى.

أما العقاد فقد انطلق فى حملته النقدية سنة ١٩٢١ عندما أصدر كتاب «الديوان» مع المازنى، وانتقدا فيه شعر أحمد شوقى. وما يلفت النظر فى مُسْتَهْلَ الأمر هو أن مدرسة الديوان التى دعت إلى التجديد فى الشعر العربى المعاصر، كانت من أولى المدارس التى فتحت النوافذ على التأثير بالآداب الأجنبية ومذاهبها المختلفة فى الأدب والنقد. وفى تسميه هذه المدرسة شموئيل موره *Shmuel Moreh* يفضل اسم "مدرسة" أو "جماعة العقاد" ويدافع عن هذه التسمية قائلاً «إنّ التحاق شكرى بهذه المدرسة لم يدم أكثر من ثلاثه اعوام ١٩١٦-١٩١٣ كما أن المازنى هاجم شكرى فى كتاب نشره مع العقاد بعنوان «الديوان، كتاب فى النقد والأدب» سنة ١٩٢١» (موره، ١٩٧٨: ٦٥). وهنا يمكن لنا أن نلفت انتباه المهتمين بتفاصيل نشأة هذه المدرسة إلى إحدى المصادر الهامة، وهى مقالة الزبيدى بعنوان "مدرسه الديوان" سنة ١٩٧٠.

و لكن حقيقة الأمر هى أن هؤلاء الأدباء قاموا بدور كبير فى خدمة النهضة الشعرية، وفى نشر حركة التجديد فى الشعر العربى الحديث. فالشوقى فى كتابه «جماعة ابولو وأثرها فى الشعر الحديث» ينسب الانقلاب الشعرى فى مصر إلى العقاد ومدرسته، وليس

إلى *مطران* وجماعته. *والزبيدي* أيضا يصدق على هذا الكلام فى مقالة «مدرسة الديوان». ومن جانب آخر يذكر *العقاد* بنفسه فى كتابه «شعراء مصر وبيئاتهم» أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية، عن طريق الآدب الانجليزى.

وفى دليل عدم تركيز *العقاد* ومدرسته على *مطران*، وتأثير الآدب الفرنسى وثقافته يقول مورة: «*مطران* ومدرسته كانوا متأثرين بالآدب الفرنسى وكانوا يتبعون الموازين الفرنسية فى الشعر، فى حين *العقاد* ومدرسته عارضوا "الأثر السلبى" للآدب الفرنسى المتمثل بنزعة نحو العاطفية والكلام المنمق وكانوا متحمسين بالآدب الإنجليزى وسعوا إلى التعريف بمعاييرها وهى الجدية والبساطة والمصارحة» (موره، ١٩٧٨: ٦٦)؛ ومن جهة نرى *العقاد* يشيد بجوانب هذا التأثر فى الطبعة الثالثة من كتابه «ساعات بين الكتب» الصادر فى القاهرة سنة ١٩٥٠ فى صص ١٠٨ و١٦-١١٥. وعلى الجانب الآخر نواجه *خليل شيبوب* فى «الفجر الأول» يدافع عن الآدب الفرنسى كتمثيل للحضارة اللاتينية و«داع إلى استقلالية الفكر وبروز الشخصية» ليفضله على الآدب الإنجليزى الذى يمثل الثقافة ألكسونية «الداعية إلى التخيلات والمعانى الغامضة والغريبة» (موره، ١٩٧٨: ٦٦).

ولهذا نحن فى هذه الدراسة نريد أن نبين مسألة تأثر أصحاب مدرسة العقاد أو الديوان بهذه الآداب الأجنبية، وعلى هذا تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية: هل تأثرت مدرسة الديوان بالآداب الأجنبية؟ ما هى أهم هذه الآداب؟ ما هى كيفية ومدى تأثرها بهذه الآداب؟ على هذا تطرقنا إلى هذا البحث واخترنا الآداب الإنجليزى والفرنسى والفارسى محورا لهذه الدراسة. واتينا بأهم المدارس الأدبية التى تجلت خلال هذه الآداب وأثرت فى مدرسة الديوان.

ومع المزيد من البحث من باب التقديم والتدقيق فى الجوانب الأخرى من البحث وسوابقه، فقد وجدنا وقرأنا كذلك البحوث التالية حتى لا نقع فى فخ التكرار والعمل الموازى، فقد إستفدنا من هذه البحوث للمزيد من التعميق والكشف عما لم يتناوله الدارسون قبلنا. وتجدر الإشارة إلى فئتين من المصادر؛ الفئة الاولى تشمل بعض المقالات والكتب بالعربية منها: مقالة «جماعة الديوان؛ التقدم الأدبى والنقدى فى القرن العشرين» ل*سليمان سادات/شكور* التى طبعت فى مجلة «الإضاءات النقدية» سنة ١٣٩٠ش، ويتطرق فيها الباحث إلى سير تكوّن مدرسة الديوان وأهم آثار وإنتاجات هذه المدرسة

ودورها في تقدم النقد العربي وفتح آفاق جديدة لنقاد العرب، ولكن الكاتب هنا لا يركز على تأثير هذه المدرسة في هذا التجديد بالأدب الأجنبية المختلفة ويبقى سؤال الإصالة في تجديد هذه المدرسة للكاتب. أيضاً كتاب «بحوث في الأدب العربي الحديث» لمحمد مصطفى هدارة وكتاب «دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه» لمحمد عبد المنعم الخفاجي.

وضمن الفئة الثانية يجب أن نذكر المصادر الانجليزية منها كتاب شموئل مورة الصادر في ١٩٧٨م بعنوان *Modern Arabic Poetry 1800-1970: The Development of Its Forms and Themes under the Influence of Western Literature* ويتقصى الباحث في هذا الكتاب إلى تطور القوالب المختلفة في مختلف النزعات الأدبية في الشعر العربي الحديث، ويعتبر هذا التطور اهم ركائز ثورة التجديد في الشعر العربي الحديث وذلك بفعل بعض المؤثرات الاجنبية. مورة يركز على «نشأة وتطور قوالب ومضامين الشعر العربي الحديث من ضمنها الشعر الحر» (مورة، ١٩٧٨م: ٧ و٢١٨) وروجر آلن في كتابه *"The Arabic Literary Heritage"* الصادر سنة ١٩٩٨م يركز على استقلال الشعر العربي الحديث، وبالتالي تطور وتحديث الموضوع والبنية فيه نتيجة لتغيير الظروف والبيئة الثقافية والاجتماعية. هنالك دراسات أدبية أخرى وكل هذه الدراسات على الرغم من جودتها واحتوائها على آراء جديدة في فكرة التجديد وجماعة الديوان، ولكنها لم تتعمق في تأثير مدرسة الديوان بالأدب الأجنبية الأخرى وهذا ما نحن نريد أن نتطرق إليه.

تأثير أصحاب مدرسة الديوان بنمطين

أ. النمط العربي

تأثير هؤلاء مما قرأوا بالأدب العربي القديم، وبالتالي بمن آثروا في نقدهم ودعوتهم إلى التجديد. «والحقيقة أن هذه المدرسة كانت تتصل بروائع شعر العرب السابقة التي تقرب من ذوقها، مما قرأته عند *ابن الرومي* و*المتنبي* و*الشريف الرضي* و*أبي العلاء*، وقد كتب *المازني* فصولاً طريفة عن *ابن الرومي* وأشاد بشعره إشادة واسعة، وأفرد له *العقاد* كتاباً، وكتب مراراً عن *المتنبي* و*أبي العلاء المعري*» (ضيف، لاتا: ٤٩).

و أما شكري «فعكف على قراءة الأدب القديم، يقرأ في كتابات الجاحظ وفي كتاب «الأغاني» وفي «الكامل» للمبرد و«الأمالى» لأبي على القالى وغير ذلك من عيون النشر العربى القديم، كما أخذ يقرأ فى الشريف الرضى ومهيار وابن الرومى والمتنبى وأضرابهم من الشعراء البارعين»(المصدر نفسه: ٢٦١).

كما يتمثل فى قصيدة «خميلة الحب» التائية التى تأثر فيها بلبن الفارض، وكان شعره من أوائل ما قرأه شكري، من دواوين الشعراء القدماء، وكان فى مقدمة من قرأ لهم: ابن الفارض والبارودى والمتنبى والشريف الرضى والمعرى وابن الرومى، كما قرأ لشعراء الغرب مختارات من شعرهم تمثلت فى كتاب «الكنز الذهبى»(The Golden Treasure)، وكان يدرس بالمعلمين العليا. ويقول شكري فى مطلع قصيدة «خميلة الحب»:

تمهّل رعاك الله أفضى لبانتى وأتلو على تلك الرياض تحيتى
فإنى تعلمت الهوى فى ظلّائها وفيها رأيت الحسن أول رؤية
(خفاجى، ج٢: ٢١)

فنراهم نظموا فى المناسبات والمدح والثناء وغيرها من الأغراض القديمة، فهم لم ينفصلوا ولم يستقلوا تماماً عن الشعر العربى القديم، بل إننا نستطيع أن نعين لهم قصائد كثيرة إستلهموا فيها ما أنتجته قرائح القدماء، فضلاً عما يلتقون معهم فيه من معان وأفكار.

ب. النمط الأجنبى

«زاد إتصال العرب بأداب الغرب، عن طريق الترجمة والبعثات العربية إلى جامعات أوروبا، والمستشرقين والأساتذة الغربيين الذين عملوا فى الجامعات العربية، وعنوا بنشر الأدب الغربى فى العالم العربى فحينما جاءت مدرسة الديوان كثفت أصحابها جهودهم فى نقل النظريات الشعرية والنقدية الجديدة تحت لواء الرومانسية والتجديد، إلى مصر من الآداب الأجنبية خاصة الإنجليزية منها فى هذا المسار، يعترف العقاد بإعجابه الكثير بهازليت Hazlitt الناقد الإنجليزى والتأثر به فى نقد الشعر، إذ يعتبره إمام هذه المدرسة فى النقد، وكذلك نراه معجباً بتوماس هاردى Thomas Hardy الشاعر الإنجليزى»(طالبى، ١٣٨٢ش: ٨٠).

«و للمازنى بجانب ذلك جهد ممتاز فى ترجمة بعض الذخائر الغربية، ومن أهمّ ما ترجمه قصة «إبن الطبيعة» ومسرحية «الشاردة» لجالزورثى *Galsworthy* و«مختارات من القصص الإنجليزية»، وهو يعد فى طليعة من حذقوا الترجمة والنقل من الآداب الأجنبية» (ضيف، لاتا: ٢٦٦).

تأثر رواد مدرسة الديوان بالرومانسية

يتجلى العنصر المميز لمدرسة الديوان متأثراً وتأثراً واضحاً بشعراء الرومانسية، وهو عنصر "الطبع nature" فى قول الناقد الإنجليزي وردزورث *Wordsworth* إذ يقول فى تعريف الشعر: «إنّ الشعر إنسياب تلقائى للمشاعر القوية، إنّه يصدر عن العواطف التى تستعاد فى حالة سكونية، وهناك يتمّ نوع من التأمل فى هذه المشاعر التى تختصّ فيه تلك السكونية بالتدرج وتحلّ مكانها عاطفة قريبة من تلك العواطف الأولى التى كانت موجودة قبل عملية التأمل هذه حيث تحتلّ العاطفة الأخيرة الذهن بالفعل. وفى مثل تلك الحالة تبدأ كتابة الشعر العظيم عادة» (الحاوى، ١٩٨٤م: ٥٨ نقلا عن وردزورث).

من جانب آخر يعتبر شكري أن خلق الشعر «إنفعال عصبى» ويستمرّ قائلاً: «لا ينظم الشاعر إلا فى نوبات إنفعال عصبى، وفى أثنائها تغلى أساليب الشعر فى ذهنه وتتضارب العواطف فى قلبه، ثم تتدفق الأساليب الشعرية كالسيل من غير تعمد لبعضها دون بعض. أمّا فى غير هذه النوبات فالشعر الذى يصنعه فاطر العاطفة قليل الطلاوة والتأثير» (المصدر نفسه: الصفحة نفسها).

والنزعة الرومانسية واضحة فى شعر العقاد فى الجزء الأول من ديوانه فى قصيدة «الحبّ الأوّل»، يقول العقاد فى مطلعها:

يهنيك يا زهر أطيّار وأفنان
الطير ينشدُ والأفنان عيدانُ

(طالبى، ١٣٨٢: ٧٦)

«أعجب شكري كلّ الإعجاب بشعراء الرومانسية الإنجليزية، وردزورث وكولردج *Coleridge* وشلى *Shelley* وبيرون *Byron* وكيّس *Keats* وسكوت *Scott*، وقرأ كل ما كتبوه، وتأثّر بهم روحاً ومنهجاً» (أنصارى، ١٣٧٦ش: ١٦١).

كما «ينظم المازنى معه الشعر على أسلوب جديد فى ضوء ما قرأ من شعر الإنجليزى، خاصة عند أصحاب النزعة الرومانسية أمثال شكلى وشعراء البحيرة The Lake Poets» (ضيف، لاتا: ٢٦٢).

يكشف شكلى الستار عن تأثرات المازنى أو "سرقاته" على حدّ تعبيره فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه إذ يقول: «و قد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «الشاعر المحتضر» الليائية التى نشرت فى «عكاظ»، واتّضح لنا أنّها مأخوذة من قصيدة «أدونى» للشاعر شكلى الإنجليزى، كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «قبر الشعر» وهى منقولة عن هينى Heine الشاعر الألماني، ولفتنى آخر إلى قصيدة المازنى «فتى فى سياق الموت» وهى للشاعر هود Hood الإنجليزى، ولفتنى أيضاً أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «الراعى المعبود» وهى منقولة عن الشاعر لويل Lowell الأمريكى، وقصيدة المازنى التى عنوانها «وردة الرسول» وهى للشاعر ولر Waller الإنجليزى وأشياء أخرى ليس هذا مكان إظهارها. وقرأت له فى مجلة «البيان» مقالة «تناسخ الأرواح» وهى من أوّلها إلى آخرها من مجلة «السبكتاتور» لأدسون Addison الكاتب الإنجليزى ومن مقالاته فى *إبن الرومى* التى نشرت فى «البيان» قطعة طويلة عن العظماء وهى مأخوذة من كتاب «شكسبير والعظماء» تأليف فيكتور هوجو Victor Hugo، ومن مقالات كارليل Carlyle الأدبية (هدارة، ١٩٩٤م: ٣٣٩ و ٣٤٠).

وقال العقاد حول شكلى: «و لكن شكلى عبّ من الأدب الإنجليزى بدل أن يعبّ من الأدب الفرنسى، الذى استهوى مطران فى صباه قبل أن تستهويه الآداب الأخرى» (خفاجى، ١٩٩٢م: ٢٥/٢).

تأثر أصحاب مدرسة الديوان بالآداب الأجنبيةة المختلفة

يقول العقاد عن ثقافة هذا الجيل الجديد: «فهى مدرسة أوغلت فى القراءة الإنجليزية، وهى مع إيغالها فى قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز لم تنس الألمان والاطليان والروس والأسبان واليونان واللاتين الأقدمين، ولعلّها إستفادت من النقد الإنجليزى فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى، ولا أخطىء إذا قلت أن هازليت هو إمام هذه المدرسة كلّها فى النقد» (العقاد، ١٩٣٧م: ١٩٢).

على سبيل المثال «يقرأ/المازنى ويتسع قراءته، وينفتح أمامه العالم الغربى عن طريق إتقانه الإنجليزية، فلا يقف عند ما يقرؤه فى الأدب الإنجليزى، بل يقرأ كل ما استطاع فى الآداب الغربية المختلفة، يقرأ/تورجنيف Turgenev ولها تزيباشيف Artsybashev الروسيين، ويترجم للأخير قصة سانين *Sanin* باسم «ابن الطبيعة» كما يقرأ لمارك توين *Mark Twain* الأمريكى، ولغير هؤلاء جميعاً ممن يطبع أدهم بطوابع السخرية (شوقى ضيف، لاتا: ٢٦٣). «ولاحظ النقاد على هذه القصة أن كاتبها تأثر بقصة سانين التى ترجمها قديماً تأثراً واضحاً، بل زعموا أنه نقل عنها كثيراً» (المصدر نفسه: ٢٦٩).

التأثر بالأدبين الإنجليزى والفرنسى

يعترف/العقاد بتأثر شكرى من الآداب الأجنبية حيث يقول فى بعض ذكرياته: «عرفت عبدالرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة، فلم أعرف قبله ولا بعده أحداً من شعرائنا وكتابنا أوسع منه إطلاعاً على أدب اللغة العربية، وأدب اللغة الإنجليزية، وما يترجم إليها من اللغات الأخرى» (خفاجى، ١٩٩٢، ج ٢: ٢٣ و ٢٤).

والمتمأمل أن «شعر شكرى تعبير واضح عن إلتقاء العقلين: المصرى العربى، والغربى الإنجليزى وغير الإنجليزى، وقد كان الشعراء قبله، ونقصد شعراء النهضة، يتصلون أكثر ما يتصلون بالأدب الفرنسى، أمّا هو فأكثر صلة بالأدب الإنجليزى. وأخذ نفسه - منذ أن كان طالباً فى مدرسة المعلمين - بالتعمق فى هذا الأدب وبالقراءة الواسعة فى الأدب العربى. وقرأ مختارات «الذخيرة الذهبية» فرأى فيها نموذجاً جديداً لشعر غنائى يخالف الصورة التقليدية للشعر العربى. فليس فيه مديح ولا هجاء، وإنما فيه التعبير الواسع عن العاطفة والتأمل الواسع فى آمال البشرية وآلامها وكل ما يتصل بالحياة والطبيعة من أفكار وأنغام» (ضيف، لاتا: ١٣٠ و ١٣١).

فقد رأى عبدالرحمن شكرى أن «وظيفة الشاعر فى الإبانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره، والشعر يرجع إلى طبيعة التأليف بين الحقائق، ومن أجل ذلك ينبغى أن يكون الشاعر بعيد النظر فى مميزات بين معانى الحياة التى تعرفها السنة وأهل الغفلة وبين معانى الحياة التى يوحى بها الأبد» (الحاوى، ١٩٨٤م: ٥٩)؛ والواضح أن

الشكرى - فى هذا التحديد - يلتقى مع الشاعر والناقد الإنجليزى شلى حين ميز بين قدرة الناس العاديين وبين قدرة الشعراء، على إدراك حقائق الأشياء ومعانى الحياة وذلك حين قال «مع أن الناس يرون نفس الأشياء فإنهم لا يتفقهون فى ملاحظة نظام واحد فى حركات الرقص وفى لحن الأغنية وفى نسيج اللغة وفى سلسلة التقليد التى يقومون بها للأشياء الطبيعية ذلك لأن هناك نظاماً معيناً وإيقاعاً لهذه الألفاظ» (المصدر نفسه: الصفحة نفسها).

«يعترف شكرى بأنه تأثر بأفكار شلى فى قصيدته «المنتقم أو روح العزلة Alastor Or, the Spirit of Solitude»؛ يقول شلى فى هذه القصيدة:

When early youth had passed, he left
His cold fireside and alienated home
To seek strange truths in undiscovered lands

(Lines 75-77)

ترجمة النص:

ولما تقضى الشباب ترك
مدفأته الباردة وتغرب من موطنه
بحثاً عن الحقيقة فى أراضى لم تكتشف بعد.

وفى نفس المعنى يقول شكرى فى قصيدته «الباحث الأزلى» (الفتاح البدوى، ١٩٩٠م: ٣٦٤):

همت يوماً من قرىتى أنشد الحـ ق لعلى أراه فى الدهماء
عفت بيتى وقرىتى وهجرت الـ أهل أبغى فى النفوس الظلماء

«ألف شكرى قصة سمّاها «الحلّاق المجنون»، وفيها ما يدلّ على تأثره بالآداب الروسية حينئذ، كما ألف «الإعترافات» وفيها تأثر واضح بما قرأه فى الآداب الفرنسية من إعترافات جان جاك روسو *Jean-Jacques Rousseau* و شاتو بريان *Chateaubriand* وأن لم يجعلها على لسانه، فقد نسبها إلى شخص رمز إليه بالحرفين م. ن. وهى اعترافات رائعة، إذ كلّتها تحليلات وتأمّلات، وقد وصف فيها الشباب المصرى بأنه «عظيم الأمل ولكنه عظيم اليأس، وكل منهما فى نفسه عميق مثل الأبد» (ضيف، لاتا: ١٣٢).

كان المرجع الأول لهذه المدرسة مجموعة «الكنز الذهبى» وهى مختارات مشهورة من الشعر الإنجليزى من عهد شكسبير إلى نهاية القرن العشرين» (خفاجى، ١٩٩٢م: ٧/٢).

وكان لهذا الكتاب الذى جمعته دار نشر بالجريف Palgrave أثر كبير فى مدرسة الديوان إبداعاً ونقداً، وكان هذا الكتاب يدرس فى مدرسة المعلمين العليا حيث درس عبد الرحمن شكرى والمازنى. ولهذا لا نجد غرابة فى أن يكون شعار مدرسة التجديد "الديوان" بيت شعر قصيدة عبد الرحمن شكرى «عصفور من الجنة» وهو قوله:

ألا يا طائر الفردو س أن الشعرَ وجدانُ

مأخوذ من بيت لشلى فى قصيدة «الى القُبَّرة To a Skylark» هدارة، ١٩٩٤م: (٣٤٧): «وحسبنا أن ننظر فى بعض نماذج من شعر هؤلاء الشباب رأى فيها بعض الدارسين تأثراً واضحاً بشعر المدرسة الرومانسية الإنجليزية، لنرى أن هؤلاء الدارسين قد إنفتوا فى المقام الأوّل إلى "الموضوع" وبعض "المعاني" المجردة، ولم يلقوا بالاً إلى ما بين الشعرين من خلاف فى الشكل والصورة لا يستطيع العقاد أن يدفع عن خياله تصوير وردزورث لها فى قصيدته «أغنية للخلود Intimations of Immortality» (القط، ١٩٨١م: ١٩٢).

و أبيات العقاد من قصيدة قصيرة فى ديوانه الأول بعنوان «الربيع الحزين» يقول فيها:

عَبَقَ الربيعُ بناجمٍ وبساقِ	أهلاً، ولا أهلاً بذاك العابق
قد كنتُ أنسُ بالربيعِ إذا أتى	أنس المقيم بالحيب الطارقِ
و يمازجُ الزهر البهيجِ خواطرى	وتنافحُ العطر الأريجِ خلائقى
و تكادُ تنسينى صوادحُ أيكّة	عزف القيان على الجمادِ الناطقِ
فالآن لا شدو الطيورِ برائعِ	سمعى، ولا روضُ الربيعِ بشائقى
و كأنّ نوازَ الحداثقِ طاقة	نثرت على قبرِ السرورِ الزاهقِ
وأرى الندى دمعاً، و كنتُ إخاله	درأً ينطاط بزهره المتعانقِ
ويثير شجوى من عليل نسيمه	سقمٌ أراه اليومَ غيرَ مفارقي

هذه من قصيدة وردزورث «الطويلة The Prelude» المعروفة (المصدر نفسه: ١٩٣).

وكذلك يتضح ذلك فى ديوانين هما: «هدية الكروان» و«عابر سبيل»؛ «أمّا الأول فنظم أكثر قصائده فى الكروان طائر مصر، الذى يعطر انفاس لياليها بتغريداته الشجية، محللاً لإختلاجات نفسه فى أثناء سماعه وتأمّلات عقله. وكل من يقرأ فى الآداب الإنجليزية يعرف قصيدة شلى «إلى القُبَّرة»، وما نشك فى أن هذه القصيدة ويمثلها هى

التي أوحى للعقاد لا بنظم قصيدة واحدة في الكروان، ولكن بنظم طائفة من القصائد. وهو لا يأخذ من شلى ولا غيره رقعاً يضيفها إلى نسيج قصائده، بل يكتفى بالإيحاء والإلهام من بعيد» (ضيف، لاتا: ٤٨).

«أما الديوان الثانى «عابر سبيل» فهو تجربة من نوع جديد عرف عند الغربيين فى هذا القرن، إذ ولّى بعض الشعراء وجوههم إلى حياتهم الحاضرة، ولكن لا إلى الحبّ ولا إلى الطبيعة، بل إلى الموضوعات اليومية التى قد تبدو تافهة. ولا يلبث عقل الشاعر، بل لا تلبث نفسه أن تتجاوب معها، وتستخرج منها أصداً شعورية كثيرة، فإذا الشىء العادى التافه يتحول شعراً، وإذا كلّ ما فى الطريق صالح لأن يكون نبعاً لقصيدة طريفة» (المصدر نفسه: الصفحة نفسها). وعرف العقاد هذا الإتّجاه فى الشعر الغربى الحديث، فلم يلبث أن حاوله فى الشعر العربى، ومدّ عصا شاعريته إليها حوله من «كواء الثياب» وغير كواء الثياب.

قد ترجم العقاد فى ديوانه الأول مقطوعة شعرية للشاعر الإنجليزى وليام كوبر *William Cowper* عنوانها «الوردة»، وقدم لها بقوله «وردة قطفتها صديقة للشاعر وقدمتها إلى صديقة أخرى، فعرضتها هذه عليه تستندى قريحته فتناولها من يدها ثم هزّها فتناثرت أوراقها فندم واستعبر ثم قال ذلك الشاعر الرقيق:

أتنى بها من خدّها مثل لونها
مبلّلة الأوراق باكية السنّ

(القط، ١٩٨١م: ١٥٧ و١٥٨)

و استلهم قصيدة «أغنية الريح الغربية Ode to the West Wind» للشاعر الإنجليزى الرومانسى شلى، ولكنه لم يسط على معانيه. بل إهتدى من بعيد على ضيائه إلى هذه الأنغام العربية الشجية. وكان على هذا النحو دائماً يستضىء بالنماذج الغربية، ولكن لا ينقلها نقلاً فى أساليبه العربية، وإنّما يكتفى بالإلهام من بعيد، ثمّ يغنى عواطفه وشجونه فى شعره. وفى دواوينه أمثلة مختلفة من ذلك، ومن أوضحها قصيدته «نابليون والساحر المصرى» فى الجزء الثانى، وقد استلهم فيها قصيدة «الشاعر The Bard» ل *توماس جراى* *Thomas Gray* وهى كقصيدة «أغنية الريح الغربية» من قصائد «الذخيرة الذهبية» (ضيف، لاتا: ١٣٤).

من جانب آخر «من يتتبع *العقاد* في تصويره للطبيعة الوحشية يرى أنه قد استفاد في تصويره لها من الشعر الإنجليزي، في قصيدة «وقفة في الصحراء» وهو في تصويره هذا يتفق مع *شلي* يفي طبيعة التي تتضح لنا من خلال قصيدته «أغنية إلى رياح الغرب» يقول *العقاد* بعنوان «وقفة في الصحراء» (القط، ١٩٨١م: ١٩٨):

هضابك أم هذى أو اذى عيلم؟ وهل فيك من وردٍ لغير التوهم؟
«إذا نظرنا إلى الديوان الأول ل*عقاد* نراه يسلك بين قصائد الديوان ومقطوعاته ثلاث قصائد مترجمة عن شكسبير هي: «فينوس على جثة أدونيس» و«لا طلع الصباح»، مترجمة ببعض التوسع عن رواية «روميو وجوليت» و«الغرض» وعن كوبر «الوردة» وعن بيرنز *Burns* «الوداع» ويترجم عن بوب *Pope* قطعة بعنوان «القدر» (شوقي ضيف، لاتا: ١٤١) كما يشير إلى بعض الأساطير اليونانية مثل «غادة اثينا» (الفتاح البدوي، ١٩٩٠م: ١٤٧).

كما تلاه بديوان سمّاه «هدية الكروان» نظم فيه كثيراً من القصائد في هذا الطائر المصري، الذي يملأ ليالى الوادى بأناشيده العذبة وترتيلاته الشجية، وأهم هذه القصائد قصيدته:

هل يسمعون سوى صدى الكروان صوتا يرفرف فى الهزيع الثانى
وهى من قصائد الديوان الأول، جعلها فاتحة قصائده فى هذا الديوان والنبع الذى يستمد منه أنغامه وألحانه فيه. ولا نشك فى أنه يستلهم فى هذه القصيدة وذلك الديوان من قصيدة *شلي* الشاعر الإنجليزي «إلى القبرة» وهى من روائع هذا الشاعر وبدائعه، وفيها يشبه القبرة بالفرح المجرد. وليس معنى ذلك أن *العقاد* يقتبس من *شلي* أو ينقل، فهو يلهمه ويوحى إليه، أمّا بعد ذلك فمعانيه فى قصائده له (ضيف، لاتا: ١٤٣) وقد نحسّ نفس الإحساس إزاء كثير من قصائده بدواوينه المختلفة فى الطبيعة والحبّ، ففيها جميعاً أثر قراءاته فى الآداب الغربية.

وللمازنى فى هذا عبارة تقترب إقتراباً شديداً من وظيفة الخيال الثانوى the secondary imagination عند كولردج. يقول *المازنى*: «ليست قدرة الشاعر هنا فى أنه أوجد شيئاً من العدم فذاك محال ولكن قدرته فى أنه استطاع أن يكون صورة من أشتات صور وأن يحضر الصورة المؤلفة إلى ذهنه إحضاراً واضحاً» (الورقى، ١٩٨٤م: ١٠٦).

«وقد نشر أول مجموعة مختارة من مقالاته سنة ١٩٢٤م بعنوان «حصاد الهشيم» وفيها نراه يتحدث عن شكسبير ورواية «تاجر البندقية» التي نقلها خليل مطران إلى العربية» (ضيف، لاتا: ٢٦٥).

التأثر بالأدب الفارسي

في نفس المجال ومواصلة لتأثرهم: «عنا بالخيام والرباعيات ما صحّ منها له وما لم يصحّ، عناية ما تمثّلت عند العقاد والمازني في الكتابة عن الرجل وعن الرباعيات وبعض ما يتصل بترجماتها العربية المبكرة، وتمثّلت عندهم جميعاً بترجمة كلّ منهم لعدد مختلف من الرباعيات عن منظومة الشاعر الإنجليزي المعروف إدوارد فيتز جيرالد التي نهضت على عدد مختار من الرباعيات لم يزد على مائة وعشر رباعيات في إحدى طبعاتها الخمسة والتي كانت سرّ شهرته وذويع صيته في العالمين.

ولقد خلفت عنايتهم بالخيام والرباعيات معاً أثراً متفاوتة فيهم. فالعقاد الذي كان أكثرهم تتبعاً وإهتماماً إنتقل من المعارضة الشعرية لبعض أفكار الرباعيات أو التآثر المقارني السلبي إلى موقف علمي معتدل إنبجس عن كثرة "مصادفاته" مع الخيام التي غيرت من نظرتة السنة إليه» (بكار، ٢٠٠٤م: ٧).

على سبيل المثال، نرى أن للعقاد قصيدة عنوانها «جنة الخيام»:

رغيفُ خبزٍ ووجهه حلوٍ وكأسٍ مدام
وتلك جنةٌ عدنٍ في مذهب الخيام

وأبيات الخيام المترجمة هي (الفتاح البدوي، ١٩٩٠م: ٣٠٤ و٣٠٥):

A jug of wine, a loaf of bread – and thou

Beside me singing in the wilderness

O' wilderness were paradise now.

وقد حملت هذه الأمور كلّها/العقاد على أن يتحوّل في الخيام والرباعيات من المعارضة الفكرية الصارمة، أول الأمر إلى التفهم العلمي المعتدل في ضوء معرفة أكثر وأعمق جناها من إطلاعها على مصادر شتّى بعد أن كان فتيز جيرالد ومنظومته مصدره الوحيد في البدء. «أمّا عبد الرحمن شكري الذي انصبّ إهتمامه القليل على الرباعيات بترجمته ثلاثاً

منها، فقد كان معجباً ولم يخلُ شعره من تأثر سنة بالرباعيات وإن يكن قليلاً. وأما المازني ثالث الثلاثة، فقد كان معجباً، إعجاباً قاده إلى أن ينافح عن *الخيام* ويحاول ردّ تهمتي "التصوّف" و"الإبيقورية" عنه بقوة من خلال إهتماماته العلمية المتعدّدة، وأن يتصدّى لنقد ثلاث من أشهر الترجمات آنذاك: ترجمة محمد السباعي وترجمة أحمد رامي، وترجمة أحمد حامد الصّراف، وقد دفعه الأمران دفعاً إلى يترجم ما ترجم من رباعيات عن منظومة فيتنر جيرالد أيضاً» (بكار، ٢٠٠٤م: ٧ و٨).

الملاحح الفلسفية الأجنبية في آرائهم وآثارهم

«كتب العقاد في مجالات كثيرة، فتارة يكتب عن الفلاسفة الغربيين والفلاسفة الإسلاميين وتارة يكتب في موضوعات سنة مثل «عقائد المفكرين في القرن العشرين» (ضيف، لاتا: ١٣٨)؛ كما أنه من أنصار المدرسة التطورية، وهذا سرّ إحتفائه بنيتشة *Nietzsche* وشوونينهور *Schopenhauer* وشو *Shaw*، والحقّ أن "الدارونية Darwinism" قد أفادت الفكر الفلسفي والدراسات الإنسانية أضعاف ما أفادت به العلم الذي تحسب عليه، ولقد آمن العقاد بجدوى هذا العلم في فهم الإنسان والوقوف على سرّ الحياة فيه، ذلك بأنّه علم الأحياء والإنسان في نهاية الأمر "حيوان راق" بل لا يزال حيواناً على حدّ تعبيره في مقدمة "الخلاصة" في كتابه «أنا» (طالبي، ١٣٨٢م: ١٨٤).

نراه «يكتب عن غاندي ويشيد به كما يكتب عن عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق، ويعجب بالزعيم الباكستاني جناح كما يعجب بـ محمد فريد وسعد زغلول، ويكتب عن عبقرية محمد كما يكتب عن عبقرية المسيح» (خفاجي، ١٩٩٢م: ٣٥/٢).

يقول حمدي السكوت حول كتاب «الديوان» وسبب عنف اللهجة فيه مؤكداً تأثره من الغرب «يبدو أن سبب عنف لهجة كتاب «الديوان» يرجع بالإضافة للغيرة على تغيير نظرة الناس إلى الشعر إلى ظروف المرض وحالة اليأس ... كما أن هذا العنف يرجع فيما يبدو إلى كتابات ماكس نورداو *Max Nordau* التي قرأها العقاد وترجم الكثير منها، والتي إنتقلت عدواها إلى المازني أيضاً فيكتب عن هذا الأديب الصهيوني هو الآخر» (حمدي السكوت، ١٩٨٣: ٢٦/١) وأيضاً أسهمت قراءة العقاد لطاغور وإعجابه بالفلسفة الهندية (في ذلك الوقت) «المصدر نفسه: ٢٧).

كما «قرأ شكري أيضاً من زعماء المدرسة الأدبية "الواقعية" في بريطانيا، من أمثال بروننج *Browning* وبوويتمان *Whitman* وتوماس هاردي الذين صبغوا شعرهم بالحزن والكآبة والتشاؤم، فتأثر شكري بهذه النزعة، وجاء أدبه حزيناً كثيباً متشائماً (شكيب أنصاري، ١٣٧٦م: ١٦١). «حينئذ نزعته به نفسه أن يدخل الشعر من هذا الباب ومن الأبواب الواسعة التي فتحها أمامه شعراء كتاب "الذخيرة الذهبية". وديوانه الأول الذي نشره عقب تخرجه من مدرسة المعلمين وسمّاه «ضوء الفجر» يصوّر خير تصوير هذا الإتجاه، الذي كان يعدّ ثورة في أوائل القرن» (ضيف، لاتا: ١٣١).

النتيجة

رأينا فيما مضى أن أعضاء مدرسة الديوان كانوا يتأثرون بالآداب الأجنبية بواسطة قراءاتهم أو ترجماتهم من الكتب الأجنبية وخاصة الإنجليزية؛ وهذا ما يتضح لنا من خلال مقالاتهم عن الشعراء والأدباء والمفكرين الأجانب مباشراً وعن طريق أخذ فكرتهم وآرائهم عنهم في نقدهم وإنتاجاتهم الأدبية. يؤكد على قولنا تأثّر هؤلاء الثلاثة من كتاب "الذخيرة الذهبية" ومقالات العقاد وأراؤه في ماكس نوردو في قضية الجمال وأفلاطون وفلسفة الأخلاق وكانت وفلسفته وآراء شكري في الخيال والتوهّم متأثراً من الغرب ووردزورث وكولردج.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- أبوالشباب، واصف. ١٩٩٨م. **القديم والجديد في الشعر العربي الحديث**. بيروت: دارالنهضة العربية.
بكار، يوسف. ٢٠٠٤م. **جماعة الديوان وعمر الخيام**. ط ١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
الحاوي، إبراهيم. ١٩٨٤م. **حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي الحديث**. ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة.
الخفاجي، محمد عبدالمنعم. ١٩٩٢م. **دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه**. ط ١. بيروت: دارالجيل.
السكوت، حمدي. ١٩٨٣م. **عباس محمود العقاد**. المجلدين. ط ١. بيروت: دارالكتاب اللبناني.
شكيب أنصاري، محمود. ١٣٧٤م. **تطور الأدب العربي المعاصر**. ط ١. أهواز: منشورات جامعة جمران.
ضيف، شوقي. لا تا. **الأدب العربي المعاصر في مصر**. ط ١٠. القاهرة: دارالمعارف.
طالبي، محمد علي. ١٣٨٢ش. **عباس محمود العقاد**. ط ١. طهران: دارالحروفية للنشر.
العقاد، عباس محمود. ١٩٣٧م. **شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي**. مصر: مطبعة حجازي.
العقاد، عباس محمود وإبراهيم عبدالقادر المازني. ١٩٢١م. **الديوان في الأدب والنقد**. القاهرة: دارالشعب.
الفتاح البدوي، زينب. ١٩٩٠م. **دراسة نقدية مقارنة للشاعر عباس محمود العقاد**. السودان: دار جامعة الخرطوم للنشر والطباعة.
القط، عبدالقادر. ١٩٨١م. **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر**. ط ٢. بيروت: دارالنهضة العربية.
هدارة، محمد مصطفى. ١٩٩٤م. **بحوث في الأدب العربي الحديث**. بيروت: دارالنهضة العربية.
الورقي، سعيد. ١٩٨٤م. **لغة الشعر العربي الحديث**. ط ٢. بيروت: دارالنهضة العربية.

المصادر الإنجليزية

- Allen, Roger. 1998, *The Arabic Literary Heritage* Cambridge University Press, Cambridge.
Moreh, Shmuel. 1976, *Modern Arabic Poetry 1800 - 1970: The Development of Its Forms and Themes under the Influence of Western Literature*, E. J. Brill, Leiden.

المقالات

- اشكور، سيد سليمان سادات. ٢٠١١م. «جماعة الديوان؛ التقدم الأدبي والنقدى فى القرن العشرين». مجلة إضاءات نقدية. السنة الأولى. العدد ٢. ص ٦٣-٧٨.
- الموسى، خليل. ٢٠٠٧. «مفهوم التأثير فى الأدب المقارن». السنة الثانية والثلاثون. العدد ١٣٢.